التمايز في شرح العقيدة المسيحية

(٤)

بين الشرق والغرب

دكتور

رؤوف إدوارد

٢٠١٧

www.coptology.org

التمايز في شرح العقيدة المسيحية (٤)

بين الشرق والغرب

العدل الإلهي:

تمخض الصراع السياسي بين روما وبيزنطة باستقلال سياسي شجعه وباركه أساقفة روما للإنفصال عن الشرق البيزنطي لتعود روما إلى مجدها القديم. و نجح هذا المسعى بمسح شارلمان إمبراطوراً على الإمبراطورية الرومانية سنة ٧٦٨م. وحظى هذا المسعى بموافقة الكنيسة الرومانية التي كانت في حقيقة الأمر ذات صفة دينية وسياسية معاً، خلافاً لتعليم المسيح الذي جاء ليفصل بين الله و قيصر، و بين الشريعة الإلهية والقانون الوضعي. و في مقدمة الديانات التي جمعت الإثنين في كتاب واحد وأنشأت حكومة إلهية ثيؤقراطية كانت الديانة اليهودية نفسها، الأم التي ولدت المسيحية. هذا الوضع جعل عقوبة الشر تُوقَّع علي المذنب سواء تاب أم لم يتب (الإرتداد عن الإيمان. الإعتداء على الوالدين. الزنى ..). فجاء المسيح ليفصل بين الحُكم على الشر حسب الشريعة الموسوية وبين علاج الخطية وغفرانها حسب شريعة الإنجيل. وبذلك تحوَّل القصاص في المسيحية إلى جهة الإختصاص وهي المحكمة والقانون الوضعي. إن كافة القوانين الوضعية لا تعرف المغفرة بالمرَّة، ولا تعرف تجديد المجرم، بل العقاب وحده. ولا تُعيد المجرم إلى الوضع الذي كان عليه قبل الجريمة.

إن الإنسان في كل زمان ومكان عرف العدل بمعناه القانوني، أي رد حق المظلوم والقصاص من الظالم و معاقبته. و لكن النقطة الجديرة بالبحث هي: هل عدل الله هو نفسه عدل المحاكم الأرضية ؟ و هل يعاملنا الله حسب القانون الوضعي؟

إن الإنفصال السياسي للغرب عن الشرق البيزنطي حرص على إنشاء حُكم

سياسي بإسم المسيح والمسيحية بالعودة إلى تزاوج النظام القانوني – السياسي – الإجتماعي – الديني تحت سيادة الأساقفة والأمراء وهو ما يُعرف سياسياً بعصر الإقطاع. وفي هذه البيئة (العصر الوسيط) ولِد اللاهوت المدرسي الذي كان من واجباته إعادة تفسير العقيدة المسيحية بشكل سياسي يخدم سيطرة الحاكم والكنيسة.

إن منطق وتعليم اللاهوت المدرسي للعصر الوسيط قام علي الأركان التالية: الخطية إعتداء على الله / لا يمكن غفران هذا الإعتداء إلاَّ بترضية / قدَّم المسيح هذه الترضية وبذلك نال الإستحقاقات بسبب العذاب الذي تحمله على الصليب (مثل الترضية التي يدفعها المجرم عن جريمته بالسجن والتعذيب) / تملك الكنيسة حق توزيع إستحقاقات المسيح في الأسرار، وسلطان الحل والربط، وصكوك الغفران .. إلخ.

ثم جاءت حركة الإصلاح واختزلت كل هذا في قضية واحدة: أن المسيح دفع كل شيء و قدَّم الترضية الشاملة، والثمن كله، ودفع كل هذا بالعذاب والألم. واعتَبرت أن الخلاص كله حدثٌ، قد تمَّ وانتهى يوم الجمعة العظيمة علي الصليب.

أما اللاهوت الشرقي الأرثوذكسي فقد استمر دون نظريات لاهوتية جديدة تفسر الإيمان – مثل نظرية الفداء والكفارة والبديل العقابي التي جاء بها اللاهوت المدرسي الكاثوليكي ثم تلقفته حركة الإصلاح البروتستانتي – مكتفياً بما تسلَّمه من تعليم الآباء الذي يؤمن بالصليب ليس كذكري عقلية حدثت وانتهت، بل ذكرى حية ممتدة يشترك فيها المؤمنون في موت المسيح وقيامته (حياة الشركة مع المسيح)، و هو الدور الذي يقوم به الروح القدس في المؤمنين من خلال الأسرار، ليعيد تكوين الإنسان حسب صورة المسيح.

لقد غلب الربُ الموتَ في الآخرين مثل لعازر، و ابن الأرملة قبل يوم الجمعة الكبير. ثم غلب الربُ الموتَ علانيةً في كيانه (أي كيان المسيح) وهو معلق على الصليب في يوم الجمعة لكي ينقل إلينا الغلبة والإنتصار. لقد سبقت غلبةُ الرب على الموت يوم الجمعة لتستمر بعد يوم الجمعة وفوق الزمن. فالموت الذيُ غلِبَ في آخرين كان ولابد أن يُغلَب إلى الأبد في المسيح، وهو ما تعلنه القيامة المجيدة. وهكذا كل ما حدث سابقاً على

يوم الجمعة صار مُعلَناً للإنسانية كلها على الجلجثة ومن القبر بالموت والقيامة، ولكي يمتد في الحاضر والمستقبل في أسرار الكنيسة المقدسة بعمل الروح القدس. لقد مات الرب على الصليب لكي يبيد الموت، هذا ما يعلنه العهد الجديد حسب الإيمان الأرثوذكسي ويُعبِّر عنه بكلمات مثل الفداء والكفارة والخلاص. و هي في المفهوم الشرقي الأرثوذكسي ليست مصطلحات نظرية بحسب القانون الوضعي الذي من صنع الإنسان وتمَّ تطبيقها على المسيح في الماضي، ليسهل فهمها للناس ولتبرر للحاكمين سلطانهم. بل هي حياة ممتدة في الحاضر والمستقبل. إن ''الكفارة'' في المفهوم الشرقي الأرثوذكسي هي تطهير وغسل من الخطايا بدم المسيح وبالروح القدس. لذلك فالكفارة هي ''سكنى الروح القدس فينا'' لأن الروح القدس يطهرنا. و''الفدية'' في المفهوم الشرقي الأرثوذكسي هي ''الإفخارستيا'' القوة التي تحرر الإنسان. [الفدية والكفارة في لاهوت الشرق والغرب المسيحي في مقالات قادمة]. أما حركة الإصلاح فقد فصلت الماضي (أي الصليب وموت الرب) عن الحاضر و المستقبل (أي القيامة وسكنى الروح القدس بالأسرار) نتيجة الفكرة القانونية التي جاءت بها لتشرح موت السيد المسيح له المجد على الصليب، وذلك لتأثرها بالحضارات والفكر السياسي، والتي انتهت بها إلى القول: إذا كان الخلاص كله قد تم يوم الجمعة الكبيرة، فما سبب وجود جسد الرب ودمه على المذبح؟ إن لاهوت حركة الإصلاح يحصر تقديم الفدية للآب وحده وينكر تقديم دم المسيح للمؤمنين (الإفخارستيا). ويحصر الخلاص في علاقة الآب بالإبن ويغفل دور الروح القدس (في الأسرار). ويعتبر أن الخلاص حدثٌ، قد تمَّ وانتهى يوم الجمعة العظيمة وبالتالي ينكر علاقة موت الرب وقيامته وسكنى الروح القدس بالأسرار. ويمكننا القول إن العصر الوسيط هو عصر ظهور نظرية عقيدة الفداء والكفارة بأقلام الكاثوليك والتي تحولت إلى سلاح في يد قادة حركة الإصلاح للقضاء على ذبيحة القداس والكهنوت نفسه في أوروبا ومهدت لتكوين كنائس أوروبية مستقلة عن روما.

والسبح لله. (يُتبع)

بقلم : **د. رءوف ادوارد.**